عبد الناصر واختيار الرجال

المرء على دين خليله

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " المرءُ على دينِ خليلِهِ فلينظُر أحدُكم من يُخالِلْ " [حديث صحيح رواه أحمد ، وأبو داود] .

وجاء في أمثال العرب " لا خير في صحبة من لا يرى لك من الخير مثل الذي ترى له " و " "إذا رضي الرجل عمل الرجل وهديه وسمته فإنه مثله".

ويقول المثل الصيني قل لي من أصدقاؤك أقل لك من أنت ؟

كيف كان عبد الناصر يختار من يعملون معه ؟

يقول فتحي رضوان الذي عمل وزيراً مع عبد الناصر ٧٢ شهراً عن نوعية الرجال الذين عملوا مع عبد الناصر : " ليس أشق على أي رئيس دولة من اختيار رجاله الذين يعملون معه وينفذون أوامره ويقترحون عليه الأفكار والمشروعات وينصحونه أو ينقدون قراراته عند الاقتضاء ، فإذا وُفق الرئيس إلى اختيار الرجل الصالح والمناسب فإن بطانة الرئيس المقربة إليه والمحببة إلى قلبه ، قد لا تقبل هذا الرجل لأنها ترى فيه ما يهدد امتيازاتها ، ويشاركها في حب الرئيس ، فتفعل المستحيل لتمنع تعيينه ، وإذا صمد الرئيس للمؤامرات حوله ، وعين الرجل الصالح الذي اختاره فقد تطارده البطانة بعد ذلك ، وتضع في طريقه العراقيل والعقبات حتى يفر من وجهها نجاة بنفسه ، وإذا صمد في وجهها رأى نفسه آخر الأمر غير قادر على أن يعمل شيئاً وقد يرى الرجل الصالح أن خير وسيلة لبقائه هي أن يفسد وأن يخضع لأوامر البطانة

والحاشية ذات النفوذ !! ثم يكتشف الرئيس أن الرجل الذي ظنه صالحاً ومناسباً لا هو صالح ، ولا هو مناسب . [١]

أهل الثقة وأهل الخبرة

كان عبد الناصر، كما هو معروف ، يفضِّل أهل الثقة على ما بهم من مثالب على أهل الخبرة على ما بهم من مواهب حرصاً على بقائه في السلطة ، وخوفاً من أي انقلاب قد يدبَّر ضده ، فمن وصل إلى الحكم بالتآمر دائماً يكون هاجسه هو الخوف من التآمر عليه وسلب ما لديه من سلطة .

كان جمال سالم مثلاً ساخطاً ثائراً ، بل عاصف قاصف ينال الناس من قبضات يده، وصفعات كفه ، وركلات قدمه وقذائف لسانه الشيء الكثير [٢] فما الذي جعل عبد الناصر يصبر عليه يقول عبد الناصر : " الواقع أن الذي جعلني أصبر عليه أني أحبه لأنه راجل " لكن ماذا تعني كلمة " راجل " عند عبد الناصر يقول فتحي رضوان : " بعد التأمل في المناسبات التي كان عبد الناصر يقول فيها هذه العبارة في حق جمال سالم ، أدركت بالضبط ما كان يعنيه بلفظ " راجل " وهو أنه لا يمكن أن يخشى تآمره عليه ، أو التفكير في إيذائه . " [٣]

وفي سبيل هذه الرجولة بالمفهوم الناصري يضحى عبد الناصر بمصلحة البلد وبالأموال العامة أيضا !!

كيف كان يتعامل عبد الناصر مع المفسدين من رجاله ؟

عبد الناصر الذي كان عدوّاً لدوداً للإقطاعيين والرأسماليين ، وصادر أرضهم وأمم ممتلكاتهم بدعوى أنهم استولوا عليها بالباطل وجاروا على حقوق الناس عبد الناصر هذا هو الذي لم يعرف عنه أنه حاسب أحداً من رجاله أخذ ما ليس له بحق !!

---

(1) فتحي رضوان " ٧٢ شهراً مع عبد الناصر " مرجع سابق ص ١٧٩ .
(2) نفسه ص ١٣١ .
(3) نفسه ص ١٩٥ .

يقول أحمد حمروش : " لم يُعْرف عن عبد الناصر أنه حاسب واحداً من زملائه في المجلس على عدوانه على الأموال العامة ". [1]

فمن أجل البقاء في السلطة كان عبد الناصر يغمض عينيه عن كل ما يرتكبه من يعملون معه ما أخلصوا له الولاء هذا ليس كلامي إنما كلام ثروت عكاشة وزير الثقافة الأشهر في الحقبة الناصرية :

" أن عبد الناصر يغمض عينيه عن كل ما يرتكب باسمه على أيدي نفر من معاونيه في سبيل بقاء السلطة بين يديه " [2] .

فالمفسدون أهل الثقة أجدر في نظر عبد الناصر بالاستعانة بهم في الحكم من الشرفاء أهل الخبرة ؛ لأن المفسدين يعلمون أن عبد الناصر تحت يديه أدلة فسادهم لذا يكونون دائماً منضوين تحت جناحه ولا يفكرون في التآمر عليه ، والشرفاء أهل الخبرة والعلم فلا حاجة لعبد الناصر بهم لأنهم سوف يزاحمونه السلطة أو يجادلونه فيما يفعل ، وهو لا يريد أن يُسْأل عما يفعل !

يقول عبد الحكيم عامر في وصيته : " وفي أحد الأيام سألت الرئيس إذا كان قد سمع أن السيد " أ " والسيد "ب" قد أعطا تراخيص استيراد للأقارب واقتسما معهما الربح فقال :أعرف هذا وأكثر منه وحين قلت له إنه قد آن الأوان لوضع حد لهذا الفساد قال لي : لا تقلق يا عبد الحكيم أنا أمسك بمصائرهم في يدي وأضمن دعمهم غير المحدود لي سواء من خلال المصلحة أو الخوف .

كان هذا في عام ١٩٦٤ أو بعد ثورتنا باثني عشر عاماً هل أطحنا بالملكية والإقطاع ليحل محلهما الفساد ؟ " [3]

([1]) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه " ج٢ مرجع سابق ص ٣٨٥.

([2]) د. ثروت عكاشة " مذكراتي في السياسة والثقافة " ج٢ ص ٦٥٤ .

([3]) من وصية المشير عبد الحكيم التي ترجمتها جريدة " الجمهورية " عن مجلة " لايف " الأمريكية ونشرتها يوم ٢٦ / ١١/ ٢٠٠٩ .

ويقول ثروت عكاشة : " كيف لهذا القائد الذي قاد الثورة وحقَّق لها النجاح بمثل هؤلاء ، ألا يوفَّق في اختيار من سيكونون حوله في السلطة ، فكان بينهم من أساء إلى مسيرة الثورة ولطَّخ شرفها ودنَّس نقاءها كما أساء إلى الشعب،بل وإليه أولاً وأخيراً؟

لم أشك قط في أن السلطة التي تجمَّعت في يدي بعض المحيطين بالرئيس وغياب أجهزة الرقابة والمحاسبة الشعبية وخطورة مثالب السلوك الاجتماعي من منافقة الحاكم واستدرار مودته وإخفاء الحقائق عنه وتضليله بالزعم أن أجهزة أمنه قد وقفت على مؤامرات تحاك في الخفاء ضده داخل الوطن يعلم الله أنها وهمية.

كان ذلك هو الشَرَك الذي لم ينجح جمال عبد الناصر في تبين خطوطه والإفلات منه " [1] .

لقد ضجَّ الناس بفساد كثير من رجال الرئيس ومع ذلك أصرَّ عبد الناصر على التمسك بهم والدفاع عنهم .

يقول أحمد حمروش : " إن الذين تربَّعوا في قمة السلطة حول الزعيم لم يكونوا – رغم دورهم التاريخي – أكثر الناس قدرة ووعياً ، وأنهم ظلوا في مواقعهم رغم صيحات الشعب المطالبة بالتغيير ؛ لأن الزعيم قد استكان إليهم وارتاح لتصرفاتهم معه " [2] .

لماذا أبقى عبد الناصر على عبد الحكيم عامر رغم عدم صلاحيته ؟

وأهم ما يؤكد أن اختيار عبد الناصر الذين يعملون معه مبني على الثقة في ولائهم له وليس الخبرة التي تفيد الوطن هو اختياره عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للجيش رغم إجماع الناس بعدم صلاحيته لهذا المنصب ، وبرغم الأخطاء الكبيرة بل والجسيمة التي ارتكبها في هزيمة حرب السويس ، وفي انفصال سوريا عن مصر لكن عبد الناصر أصرَّ على بقائه في الجيش من أجل بقائه في الرياسة .

([1]) د. ثروت عكاشة " مذكراتي في السياسة والثقافة " ج٢ص ٦٥٤ .
([2]) أحمد حمروش : ثورة ٢٣ يوليه " ج٢ مرجع سابق ص ٤٤٤.

ويحكي السادات قصة محاولة عبد الناصر التخلص من عبد الحكيم عن طريق مجلس قيادة الثورة فيقول : " بعد عودة عامر من سوريا بعد أن عومل معاملة مهينة التقى بعبد الناصر وقال له أنه لا يستطيع أن يستمر كقائد عام القوات المسلحة بعد الإهانات التي وجهت إليه من جيش سوريا ، ورحب عبد الناصر بهذا أشد الترحيب فقد كان يتمناه منذ معركة ٥٦ بعد الموقف المتخاذل الذي وقفه عامر آنذاك والحالة التي كانت فيها القوات المسلحة في ذلك الوقت وبعد الانفصال ، لكنه لم يشأ أن يظهر لعامر ترحيبه باستقالته حتى لا يتراجع فيها فقد كان كل منهما يعرف الآخر حق المعرفة ويتربص بالآخر في غيابه وحضوره .

انقضى أسبوع بعد ذلك وعامر لا يذهب إلى القيادة وعبد الناصر يجهز الخطاب الذي سيلقيه ليعلن أن هذا هو الطريق الذي اختارته سوريا فليحفظها الله وعلى الجميع أن يحترموا إرادتها ، لكن لم يمضي يوم أو يومان بعد ذلك إلا ويفاجأ بعبد الحكيم يطلب منه سد حاجات النقص في القوات المسلحة وغير ذلك مما يشير إلى أنه مستمر في عمله كقائد عام حينما سمع عبد الناصر ذلك من عبد الحكيم جن جنونه ولكنه أخفى شعوره ، ودعانا جميعاً للاجتماع به وطرح الأمر علينا – من بقي من أعضاء مجلس قيادة الثورة – قلنا له ببساطة إن هذا الأمر لا يحتاج إلى مناقشة .. باختصار قلنا جميعاً وفي نَفَس واحد لجمال إن استبعاد عامر من الجيش مسألة مفروغ منها ولا تقبل الجدل .

بعد خروجنا قام عبد الناصر باستدعاء عامر وجعلا يناقشان الأمور فيما بينهما وبعد عدة اجتماعات بينهما اختفى عامر فاستدعانا عبد الناصر مرة أخرى وقال لنا إنه أبلغ عبد الحكيم بالقرار الذي اتخذناه ولكنه رفض الاستجابة له، كان ردُّنا على عبد الناصر أنه لو تراجع في القرار الذي اتخذناه بالإجماع فهو بصراحة يتنكَّر لمصلحة مصر، ثم لماذا يسألنا الرأي ، إنها مسئوليته وحده كرئيس للجمهورية.

أرسل عبد الناصر في طلب عامر والتقيا ، وهنا تظهر علامة استفهام كبيرة في علاقة عبد الناصر وعامر ؛ فقد حدث عكس ما كنا نتوقعه تماماً إذ اتفقا على أن

يترك عامر منصب قائد عام القوات المسلحة ويتسلم منصباً آخر اسمه نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة ، فالقائد الأعلى للقوات المسلحة هو دائماً رئيس الجمهورية ، وهذه وظيفة شرفية حسب الدستور ومع ذلك أصرَّ عامر على أن يتولى القيادة الفعلية فلا يُعَيَّن قائد عام بدلاً منه وقد سلَّم له جمال بذلك بينما كان ينوي أن يعين محمد فوزي قائداً عاماً في ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٢ (وكنا في ذلك الوقت في ديسمبر ١٩٦١) فلما أتي ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٢ وجدنا أن الوضع ما زال كما كان فمازال فوزي رئيس أركان حرب وجميع الضباط الكبار الذين مع المشير كما هم لم يتغيروا فبدأنا نتساءل فيما بيننا : فيم كان إذن استدعاء عبد الناصر لنا وأخذه مشورتنا المرة بعد الأخرى ؟ لقد عادت المياه إلى مجاريها بين عبد الناصر وعامر وكأن شيئاً لم يكن ، كل ما حدث هو أن عامر رقي من منصب قائد عام القوات المسلحة إلى نائب القائد الأعلى بسلطات القائد العام " [١]

شهادات أصدقاء عبد الناصر على تستره على المفسدين

ولم يكن الأمر قاصراً على عبد الحكيم عامر الذي تنكر عبد الناصر لمصلحة مصر ، كما قال السادات ، من أجل البقاء في منصبه لحمايته . فبعد انفصال سوريا عن مصر التقى ثروت عكاشة بعبد الناصر ونصحه بوجوب التخلص من الانتهازيين والاعتماد على الشرفاء أهل الخبرة ولكن دون جدوى .

يقول ثروت عكاشة : " وانتهزت الفرصة لتحذير الرئيس عبد الناصر في هذا اللقاء من الانتهازيين وما كان أكثرهم حوله الذين يحملون الناس بأفعالهم على كراهية النظام وبغضه بينما تبعة ذلك هذا كله تقع عليه وحده ، والتفتُّ إلى كمال رفعت أدعوه إلى إبداء رأيه فيما قلت فصدَّق على كل ما أقول وعددنا له ما أسعفتنا الذاكرة من أسمائهم ، فرأينا في أسارير عبد الناصر ما ينبئ عن اقتناعه بما قلت وبما استشهدت فيه

([١]) أنور السادات " البحث عن الذات " مرجع سابق ص ١٦٢- ١٧٤ بتصرف يسير .

بكمال رفعت فاستبشرت خيراً، وإذا هو يقول : سأطلب إليك الحضور قريباً لنتدبر الأمر سويّاً. غير أن الوقت طال ولم أتلق منه دعوة " [1] .

يقول أحمد طعيمة ، في خطابه لعبد الناصر بعد النكسة ، منتقداً سياسة عبد الناصر في اختيار الرجال الذين يعملون معه : " كان من نتائج الفترة الماضية أن أحس المسئولون بأنهم أكبر من محاسبة الجماهير ، وأن غضب الشعب ورضاه لا وزن له إذ لا يؤثران عليهم أو على مستقبلهم فهم باقون في مناصبهم إلى ما شاء الله لأنهم تمكنوا ، ولو بالنفاق والكذب والرياء والخداع من إرضاء فرد أو أكثر ممن يملكون السلطة الفعلية ، المشير مثلاً ، فتعمقت مع الأيام معاني الاستهتار بالشعب ، والاستهانة به بدلاً من أن يكون الحكام في خدمة الشعب أصبح الشعب كله في خدمة الحكام .

لقد أعلنتم في خطابكم الأخير ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٧ بان يجب أن تذوب الطبيعة الثورية في جموع الشعب وهي لن تذوب إلا في ظل حزبين وحياة ديمقراطية سليمة . وهنا يجب أن أوضح أنكم قاسيتم كثيراً بتعرضكم بتعيين أشخاص في مناصب كانوا مفروضين على الشعب فهم لا يحملون لهم حبّاً أو ثقة ، وقد يكون من أهم أسباب ذلك شعوركم الرقيق وإحساسكم بالحرج نحوهم أو نحو من يتولون أمرهم .

وليس هناك من سبيل الآن للتخلص من هؤلاء وهم أثقال تنوء بحملها الجبال ، ويكفيكم إنكم حملتموهم على كاهلكم خمس عشرة عاماً مسئولاً عنهم أمام الشعب ، إلا أن تتخلى عن الجميع بلا قيد ولا شرط ولا التزام نحوهم وتتركهم ليذوبوا في خضم الجماهير وليحكم عليهم الشعب بإرادة حرة فمن أرادوه اختاروه ومن رفضوه أبعدوه خلال انتخابات الحزبين " [2] .

([1]) د. ثروت عكاشة " مذكراتي في السياسة والثقافة " ج٢ ص ٦٥٦ ، ٦٥٧ .
([2]) أحمد طعيمة " شهادة حق " مرجع سابق ص ٢١، ٢٢ .

إن نظام عبد الناصر قد نجح في القبض على مقاليد الحكم بيد من حديد ، مستغلاً قوة الجيش ، وسيَّر كل أمور الدولة وفق مشيئته بعدما حوَّل الوزراء إلى موظفين عموم ، وألغى دور البرلمان في التشريع والرقابة ، وألغى دور النقابات في الحفاظ على حقوق العمال ومحاسبة المستغلين ، كما ألغى دور القوى الشعبية في رقابة وحماية ممتلكاتها.

يقول عبد الحكيم عامر في وصيته : " وهدَدَ الفشلُ حركتنا حين لم تعد قادرة – في ظل هذه الظروف – أن تصبح حركة شعبية فالهيئات والجهات القومية التي قمنا بتأسيسها لا تجرؤ علي توجيه النقد أو حتى النقد الذاتي وفي الواقع كان من الممكن تأسيس هيئات وأجهزة مستقلة تتمتع بالحرية وتستطيع أن توجه النقد البناء لأن الجيش لا يزال الحارس الأمين لإنجازات الثورة ولابد أن يعمل الجيش كضمان للنظام وليس كأداة لفرضه علي الشعب وهذه نقطة خلاف أساسية بيني وبين الرئيس . " [1]

مهمة أجهزة الرقابة في عهد عبد الناصر

وقد يسأل سائل ، لا يزال يؤمن بالتجربة الناصرية ، وأين أجهزة الرقابة ؟ لقد كان معروفاً أن عبد الناصر يعرف دبَّة النملة في مصر .

نعم كان لدى عبد الناصر أجهزة مخابرات مزروعة في كل مكان لكن مهمة هذه الأجهزة ليس ضبط المفسدين ، الموالين للنظام ، إنما مهمتها ضبط المعارضين وإن كانوا من الشرفاء المخلصين للوطن .

من هنا جاء فشل الأجهزة الرقابية في كشف الفساد ، والمفسدين .

يقول أحمد طعيمة لعبد الناصر : " لقد تعددت أجهزة الرقابة خلال سنوات الثورة وأصيبت كلها بالفشل ، وزاد الطين بلَّه أن الجيش أيضاً من أجهزة الرقابة في الدولة " المباحث الجنائية العسكرية . " [2]

([1]) من وصية المشير عبد الحكيم التي ترجمتها جريدة " الجمهورية " عن مجلة " لايف " الأمريكية ونشرتها يوم ٢٦ / ١١/ ٢٠٠٩ .

([2]) أحمد طعيمة " شهادة حق " مرجع سابق ص ٢١، ٢٢ .

ولقد قصدت في الاستشهاد على تستر عبد الناصر على المفسدين من رجاله اختيار شهادات رجال لا يشك أولاً في حبهم لعبد الناصر ثانياً في قربهم منه ومن رجاله . فعبد الحكيم عامر ، والسادات ، وثروت عكاشة ، وأحمد حمروش ، وأحمد طعيمة معروف عنهم جميعاً ولاؤهم التام والكامل لعبد الناصر ومن هنا تأخذ شهاداتهم مصداقيتها .

***